انتقال ملكية الختم في العراق القديم

د. ريا محسن الحاج يونس*

ظهرت الاختام في الحضارة العراقية لاول مرة في الالف السادس قبل الميلاد. وكان ابتكارها نتيجة حتمية للتطور الاقتصادي بعد تعلم الزراعة والاستقرار في القرى. ثم ظهور فكرة الملكية الفردية التي كان لابد من تحديدها وتمييزها، فكانت فكرة الختم الذي اصبح بمرور الزمن علامة خاصة بصاحبه يثبت هويته الشخصية بالاضافة الى تحديد ملكيته الفردية. هاتان الوظيفتان جعلتا الختم عزيزا وقيما عند صاحبه خاصة بعد ان بدأ ينقش عليه علامات ورموز تدل على افكاره ومعتقداته التي كان يؤمن بها، حيث بدأ يؤمن بمدى فاعليتها في حماية ممتلكاته الشخصية، وحمايته شخصيا من المشاكل. هذا ما جعل للختم اهمية معنوية لديه فحرص على ان يكون مصنوعا من احجار ومواد ثمينة وهنا اصبح للختم قيمة اخرى وهي القيمة المادية. ولكل ذلك حرص مالك الختم كل الحرص على ختمه وعلى استمراره معه.

ومن المعلوم ان لكل ختم مالك واحد فقط، لكن من خلال الدراسة والبحث يتبين لنا هناك اختاما قد ملكها اكثر من شخص في وقت واحد او في اوقات متعاقبة ولعلنا نستطيع حصر مثل هذه الحالات من دراسة مشاهد الاختام التي قد تعطينا معلومات دقيقة نتبين من خلالها جوانب عديدة من الحياة الاجتماعية للعراق القديم. ويمكننا ادراج مثل هذه الحالات وكما يلي:

امتلاك الاختام من اكثر من شخص :

- امتلك الختم من عدة اشخاص في وقت واحد، تجمعهم قرابة، مثل الاخوة(عائلة) بينهم مصالح مشتركة كتجارة او صناعة او املاك، فيكون لهم ختما مشتركا، ولدينا مثال من المتحف العراقي يعود للفترة البابلية القديمة نقش عليه اربعة

* مدرس/ قسم الآثار/ كلية الآداب.

اسطر من الكتابة هي اسماء لثلاثة اخوة.([*]). فاذن هذا الختم يعتبر ختما عائليا وكانه يمثل شركة اهلية.

١. امتلك الختم شخصان قد لا تجتمع بينهما علاقة قربى([†])، حيث نجد على بعض الاختمام اسم شخصين مختلفين لعلهما شريكين بمصلحة ما مما يسمح لاي منهما استخدام نفس الختم مادام بينهما اعمالا ومصالح مشركة.

– وتوجد اختاما تذكر اسم صاحبها واسم عبد اله،([‡]) وهذا يبين لنا امر مهم وهو السماح للعبد باستخدام ختم سيدة في حالة الاعتماد عليه في ادارة اعماله وفي هذه الحالة يكون الختم ملكا للسيد.

امتلاك الختم من قبل عدة اشخاص في فترات متعاقبة :

– اهم حالة تنقل بها ملكية الختم من شخص الى شخص اخر هي، الوراثة. لان لاختام تعتبر من المواد الشخصية ذات قيمة معنوية عالية حيث تتوارثها الاجيال. كان يرث الابن ختم والده وقد يستمر الاحفاده ايضا. وخصوصا اذا كان لشخص له مكانة مرموقة والختم مصنوع من مادة ثمينة([§]).

– قد يكون انتقال الختم الى مالك جديد عن طريق البيع. من قبل وارثه او حتى صاحبه ان لم يرغب بالاحتفاظ به او احتياجه الى ثمن حجره مثلا.

– ربما تنتقل الملكية عن طريق السرقة. او العثور عليه بعد ضياعه من قبل أي شخص ثم بيعه لقيمة المادة المصنوع منها.

وكما ذكرنا ان نقوش الختم كانت تمثل معتقدات مالكه. وفي حالة توارثه او انتقاله الى شخص ثان ربما لا تتلائم تلك النقوش ومعتقدات المالك الجديد. وقد يحاول المالك الاخير اثبات شخصيته بطريقة ما على ختمه. وربما يمكننا

---

[*] ريا محسن عبد الرزاق، الكتابة على الاختمام الاسطوانية، رسالة ماجستير، غير منشورة، ١٩٨٧، ص ١٦٧.

[†] المصدر السابق، ص ١٦٧.

[‡] Al Gailani , L. Sumer , 1982 vol xxx v iii , p 37

[§] Collon,D.First Impressions Cylinder Seals in The Ancient Near East.1987,p.120

معرفة مثل هذه الحالات وتمييزها من ملاحظة عدم تجانس وتناسق مشهد الختم.

ويمكن حصره هذه الحالات كما يلي :

١. استعلمت بعض الاختام بعد اضافة رموزا واشكالا جديدة يؤمن بها المالك الجديد، احيانا نجدها مقاطع مسمارية هي اسمه ولقبه. وهنا نجد النقاش يستغل اية مساحة خالية بين عناصر المشهد الاصلي انظر شكل رقم(١).

٢. في نموذج ثان حاول النقاش مسح جزء معين من المشهد الاصلي وحفر عناصر جديدة محله. وهذه الطريقة غالبا تكون على الاختام التي حفر عليها اسماء مالكيها فيتقصد المالك الجديد مسح اسم المالك القديم ويملا الفراغ بعناصر جديدة. انظر شكل(٧).

٣. وفي حالة ثالثة مسحت جميع عناصر المشهد الاول ونقش مشهد جديد.

٤. استملت بعض الاختام من المالكين الجدد وبدون مسح او تغير في المشهد الاصلي بل على العكس وكانهم قصدوا من ذلك استمرار الاستخدام. ويمكن ملاحظة ذلك من مقارنة فترة صناعة المشهد وفترة الاستخدام وتكون هذه الحالة غالبا عند توارث الختم. وخاصة اذا كان صاحبه الاصلي شخصية مهمة كملك او امير او كاهن. حيث يستمر استعمال ختمه من قبل خلفاؤه اذا كانوا احفاده(*).

٢. ولتميز هذا النوع من الاختام أي التي ملكها شخصان في فترات متعاقبة نلاحظ النقاط التالية :

١. اختلاف مواضيع عناصر المشهد الواحد، حيث انه وكما هو معروف ان لكل فترة زمنية مواضيعها وعناصرها الخاصة بها، فاذا اجتمعت عناصر من فترات مختلفة في مشهد واحد يكون شيئا غير اعتياديا. كان يكون المشهد يمثل

* Porada , E. Near Eastern Seals , 1948 , pl. viii , no 48

زخرفة تعود الى عصر فجر السلالات الاول تتخللها كتابة اسلوبها عرف في العصر الاشوري الحديث[٦].

٢. كما وان لكل فترة زمنية اسلوب صناعة معين ايضا يتحكم به انواع الادوات التي استعملت في حفر المشهد، واجتماع اكثر من اسلوب وطريقة في نقش الختم وبشكل غير مالوف في فترة زمنية واحدة، مما يدل على ان الختم قد نقش بفترات مختلفة.

٣. عندما يحفر على المشهد عبارات كتابية واسماء اشخاص من فترات مختلفة يكون تميزها بسهولة وذلك من معرفة اسلوب خط كل فترة. وايضا من معاني اسماء الاشخاص واصولهم العرقية حيث يمكن تمييز الاسماء السومرية عن الاكدية او الامورية بسهولة.

٤. لقد صعنت اختام كل فترة زمنية بانواع معينة من الاحجار وباشكال محددة. فعند مشاهدة ختم ذات شكل معروف في فترة تاريخية محددة محفور عليه مشهد من فترة تاريخية اخرى نعلم بان هذا الختم قد اعيد استعماله في فترة لاحقة من قبل شخص اخر غير مالكه الاصلي ولكن بعد مسح المشهد الاصلي ونقش مشهد جديد.

٥. بالرغم من محاولة النقاش من مسح العناصر التي يريد تغيرها من المشهد القديم، احيانا تبقى بعض الثار النقوش القديمة مما تجعل سطح الختم خشنا ويبدو المشهد الجديد غير واضح تماما خاصة عند طمغ الختم على الطين. كما ان مسح المشهد القديم او جزء منه يؤثر على الشكل العام للختم الاطواني فيبدو بشكل اسطواني غير منتظم كما يلاحظ على سطحه انحناءات غير متجانسة. انظر صورة رقم(٥).

بعض الامثلة لهذا النوع من الاختمام من المتحف العراقي :

١- الرقم المتحفي : ٥٢٩٠٦

النوع : اسطواني

المادة : مرمر ابيض معرق

الابعاد : ٣٥ ملم× ٢١ ملم.

المصدر : مصادر

الوصف : مشهد تقديم هدايا وقرابين. في يسار المشهد الهة جالسة على مقعد يعلو راسها تاج مقرن ترتدي ثوب الالوهية المهدب، تحمل بيدها اليمنى صولجانا ورفعت اليسرى لتحية الوافدين. تقف امامها ثلاث نسوة، الاولى تحمل بيدها اليمنى كاسا تصب منه سائلا على دكة امام الالهة، والثالثة تحمل بيدها اليسرى سطلا صغيرا وتضم اليد اليمنى الى صدرها، والمراة الثاثة تحمل بين يديها وعلا صغيرا. في اعلى المشهد بين الالهة والمراة الاولى يوجد هلال بجانبه نجمة. كما توجد ثلاث علامات مسمارية حفرت في الفراغ بين الالهة والدكة، تقرأ كما يلي : I_ku_gal

ان موضوع المشهد واسلوب النحت واشكال الشخصيات، أي الاسلوب الفني بالاضافة الى الشكل العام للختم من ناحية الحجم ونوع الحجر. جميعها تدل على ان الختم يرجع بتاريخه الى العصر الاكدي(٢٣٧١ – ٢١٥٤) ق.م.

اما العلامات المسمارية فمن شكل العلامات واسلوب الخط نستنتج بانها كتابة سومرية ترجع بتاريخها الى العصر السومري الحديث.(٢١١٢–٢٠٠٤) ق م. اما العلامات المكتوبة هي اسم شخص يدعى اكمكال. وبالتاكيد هو اسم المالك الجديد للختم. ونلاحظ ان النقاش قد حصر الاسم في الفراغ بين الالهة والدكة وقد حاول ان يؤطر الاسم بحز دقيق، ولكنه لم يستطع احاطته بشكل كامل لان ذلك كان يستوجب مد الحز فوق ثوب الالهة والدكة فترك الاطار ناقصا. وبذلك يكون هذا الختم قد استمر استعماله من العصر الاكدي والى العصر السومري الحديث.

٢– الرقم المتحفي : ١٤٣١٠

النوع : اسطواني

الابعاد : ٢٤ ملم × ١١ ملم

المصدر : اور

الوصف : مشهد مثول شخصان امام شخصية رئيسية. في يسار المشهد حيث جلست على كرسي. الراس غير واضح لخدوش اصابت الختم، ترتدي ثوبا طويلا

يكشف عن كتفها الايسر ضمت اليد اليمنى تحت صدرها ورفعت اليد اليسرى لتحية الوافدين. مثل امامها شخصان، الاول رفع يده اليمنى للتحية وضم الثانية تحت صدره، بينما وقف الشخص الثاني خلفه وقد ضم كلتا يديه الى صدره. هناك سطران من الكتابة المسمارية قد حفرا في الفراغ المتبقي بين الشخصية الجالسة والشخص الواقف الثاني وتقرأ كما يلي :

1–-si dub –2nin – nin

كما يوجد سطرا اخر من الكتابة المسمارية قد حشر في المشهد بين الشخصية الجالسة وبين الشخص الاول الواقف امامها، يقرأ كما يلي : utu _ pa_ lu. ان موضوع المشهد والشكل العام للشخصيات يرجع الى العصر الاكدي(٢٣٧١–٢١٥٤) قم وسطري الكتابة الاولى تبدو وكانها قد حفرت بعد اتمام حفر المشهد فنحن نلاحظ ان الاطار الذي اطرا به غير كامل مما يدل على انهما قد اضيفا فيما بعد.ولو ان الكتابة تعود ايضا الى العصر الاكدي.

اما السطر الاخر الذي امام الشخص الجالس يعود الى العصر السومري الحديث. ويمكننا تحديد ذلك من اسلوب الخط المكتوب واسم الشخص اوتوبالوحيث هو اسم سومري الاصل. ويمكن ان نخمن بانه قد اضيف الى المشهد الاصلي في فترة ما بين ٢١١٢–٢٠٠٤ ق م أي في فترة العصر السومري الحديث.

٣– الرقم المتحفي : ١١٨٩٣٨

النوع : اسطواني

المادة : حجر اللازورد

الابعاد : ٢٠ ملم × ١١ ملم

المصدر : اور

الوصف : مشهد صراع ابطال مع حيوانات في يسار المشهد نرى بطلا يرتدي وزرة قصيرة يصارع حيوانا مقرنا وقد قبض بكلتا يديه على قائمتي الحيوان الخلفيتين وقلبه على الارض فارتكز الحيوان على قائمتيه الاماميتين. في يمين المشهد بطل ثان عار هو الاخر يصارع حيوانا يشابه الحيوان الاول، وقد حاول

النقاش ان يجعل وضعية الصراع في المشهدين بشكل متناظر يتوسط المشهد في الاعلى شكل هلال ونجمة تحتهما حزان قصيران متوازيان. كما توجد كتابة مسمارية تملا الفراغ بين ظهري البطلين متكونة من اربع او خمس علامات مسمارية غير واضحة لمسح قد اصاب الختم يمكن ان تكون اسم صاحب الختم. او اسم الهه الشخصي. ان مشهد الختم يرجع بتاريخه الى العصر الاكدي وربما يسار نهايته.(*) ويبدو واضحا ان سطر الكتابة مضاف الى المشهد في فترة لاحقة. والسبب هو ان الكتابة على الاختام في العصر الاكدي كانت غالبا ما تحصر باطار. ثم ان العلامات المكتوبة بالرغم من عدم وضوحها ولكن اسلوب الخط يرجع الى العصر السومري الحديث(٢١١٢-٢٠٠٤) ق م

٤- الرقم المتحفي : ٥٦٥٠٤

النوع : اسطواني

المادة : ديورايت

الابعاد : ٢٢ ملم × ٨ ملم

الوصف : مشهد تقديم الى اله. في يمين المشهد يقف شخص ربما هو اله. يرتدي ثوبا قصيرا يضخ يده اليمنى تحت صدره ويرسل اليسرى الى جانبه ويضع قدمه اليمنى الى دكة صغيرة. تقف امامه الهة راسها غير واضح تماما ترتدي ثوبا طويلا يكشف عن كتفها الايمن، ترفع يده اليسرى للتحية وتمتد اليمنى لتقود شجرة ورائها لها ساعد ممتد نحو الالهة. ان الاله الواقف واضعا قدمه على دكة من المواضيع التي ظهرت في العصر الاكدي، كما ان اسلوب تحيته يبين انه من العصر الاكدي(٢٣٧١ -٢٣٧١) ق م. اما الالهة فهي تشبه الى حد كبير الالهات الوسيطة التي ظهرت في العصر السومري الحديث التي تمسك المتعبدين من سواعدهم لتقديهم للالهة الرئيسية. اما الشجرة فهي من العناصر التي ظهرت في العصر الاكدي. وعلى ما يبدو ان اصل الختم يرجع الى العصر الاكدي ثم طرأ

* Collon , D.s Catalogue of The Western Asiatic Seals In the Britsh Museum , 1982 , pl. xxxv- xxxvii

عليه تغيير في العصر السومري الحديث فنقشت الالهة الوسيطة، ويبدو ان النحات لم يكمل المشهد فترك الشجرة كما هي بدلا ان يجعل مكانها المتعبد. فظهر المشهد وكان الهة تقود شجرة لتقدمها الى الاله.

٥- الرقم المتحفي : ١٨٩٠٧

النوع : اسطواني

المادة : حجر صابوني

الابعاد : ٢١ ملم × ١٢ ملم

المصدر : اور

الوصف : يمثل المشهد عدة عناصر مختلفة. في جهة اليمين يقف شخص عار يعلو راسه قبعة بيضوية الشكل، رفع يده اليمنى، وضم اليسرى تحت صدره، يبدو وكانه متجها الى اليسار. امامه مجموعة من الحيوانات حيث نشاهد في الاعلى عقربا يليه شكلا غير واضحا تماما ربما يمثل طائرا. تحت العقرب توجه عجلة وتحت الطائر الغير واضح طائرا اخر يشبه الطاووس في نهاية المشهد يوجد شكل شخص غير كامل يبدو وكانه يتجه نحو اليسار بشكل عام يشبه مشاهد سادت في العصر البابلي القديم. علما ان المشهد يبدو وكانه غير طبيعي وعناصره غير متجانسة. كما يلاحظ تشويها وتاكلا على سطح الختم قد يكون بسبب مسح عناصر كانت منقوشة عليه. كما نلاحظ ان الشخص الواضح في المشهد قد حصر بين خزين لابد وانهما كانا في الاصل اطار لسطر من الكتابة ربما لم تكتب او مسحت ليحل محلها الشخص.وكذلك شكل العجلة يبدو غريبا مع العناصر الاخرى فربما هي جزء من المشهد القديم للختم لم تمسح كباقي المشهد. وربما قد استعمل هذا الختم من قبل شخصين بشكل متوالي في فترة زمنية واحدة وهي بداية العصر البابلي القديم يطلق عليها عصر ايسن- لارسا(٢٠٠٦-١٧٥٠)ق م.

٦- الرقم : ٦٩٧٢٩

النوع : اسطواني

المادة : همتايت

الابعاد : ٢٠ ملم × ٩ ملم

المصدر : تل الرماح

الوصف : حفر الختم بمشهدين، في جهة اليسار تقف الهة داعية ترفع يديها للدعاء والصلاة يعلو راسها تاج الالوهية المقرن ترتدي ثوبا طويلا مهدبا، يقف امامها بطل محارب يرتدي يزته العسكرية وضع يده على سلاحه المتدلي من خصره. واسدل اليمنى الى جانبه في اعلى المشهد يوجد هلال ونجمة قرصية تحتها وقفت امراة عارية صغيرة الحجم، اما في الجهة اليمنى يوجد شخصان نقشا بشكل متعاكس. الشخص الاول ربما يمثل الهة نقشت بشكل معكوس أي ان راسها الى الاسفل، يعلو راسها قبعة صغيرة ترتدي ثوبا طويلا مهدب تضم كلتا يديها الى خصرها. الشخص الثاني يبدو كمحارب وقف وقفة استعداد ارتدى ثوبا قصيرا وضع على راسه غطاء مخروطي. ضم يده اليمنى الى خصره ورفع اليسرى حاملا بها سلاحا. ان موضع المشهد وشخصياته يرجع بتاريخه الى العصر البابلي القديم. والمشهد الاصلي كان متكونا من الجزء الذي في اليسار ويبدو واضحا انه قد خصص في الجهة اليمنى مكانا لكتابة ثلاثة اسطر تظهر اطاراتها واضحة استغلت فيما بعد لنقش الشخصين المتعاكسين اللذين بدت ازيائهم تختلف وازياء الالهة والبطل في جهة اليسار مع انهما يرجعان في فترتهما الزمنية الى نفس فترة الاولين أي العصر البابلي القديم. ولكن ربما كان النقاش الذي حفر المشهد الذي في جهة اليسار من سكان اواسط بلاد بابل وربما من مدينة بابل نفسها او من المدن المجاورة لها، وقد يكون النقاش الذي نقش المشهد الثاني من سكان المناطق الاشورية (علما ان الختم كان قد عثر عليه في منطقة تل الرماح).

وهذا يعني ان الختم قد استعمل من قبل شخصين مختلفين في نفس العصر أي العصر البابلي القديم ٢٠٠٤ – ١٥٩٥ ق م.

٧- الرقم : ١٠٧٥٨

النوع : اسطواني

الابعاد : ٢٧ ملم × ١٣ ملم

المصدر : لارسا

الوصف : مشهد ديني، في جهة اليسار نشاهد الهة داعية رفعت يديها للدعاء، يعلو راسها تاجا مقرنا، انتصب امامها اسدا مجنحا، يوجد هلال في اعلى المشهد بين راس الالهة والاسد. كما يوجد بينهما قردا صغيرا في اسفل المشهد. ونرى اناء صغيرا خلف راس الالهة تحته في اسفل المشهد يوجد اناء طويل ربما هو مبخرة. يمين المشهد نرى الها عاريا يعلو راسه تاج الالهوية المقرن. ضم كلتا يديه تحت صدره وانحدر مجريان للماء من كل ساعد من ساعديه يصلان الى اسفل المشهد، في جهة اليسار نرى بطلا عاريا راكعا على ركبته اليسرى، يعلو راسه قبعة صغيرة، يحيط خصره نطاق مزدوج ، ضم يده اليمنى تحت صدره ورفع اليسرى نحو الاله. في اعلى المشهد نرى ماعزا صغيرا، ان وجود الماعز مع الاله الذي ينحدر الماء من ساعديه ربما يدل على ان الاله هو(أيا). يمين الاله بيبنه وبين الاسد المجنح يوجد شكل رمزي عبارة راس اسد وجسد افعى، لعله رمز الاله نركال.

ان اسلوب النحت واشكال الشخصيات، يدل على ان الختم يرجع بتاريخه الى العهد البابلي القديم(٢٠٠٤-١٥٩٥) ق م ويبدو واضحا استعمال الختم من قبل اكثر من شخص، حيث يمكن ان نلاحظ الاسد المجنح قد نقش فوق سطرين من الكتابة التي كانت من اصل المشهد حيث ان الاله الداعية المتجهة نحو اسطر كتابية يعتبر من المواضيع الشائعة في العهد البابلي القديم. وكذلك نرى ان رمز الاسد الافعى قد جاءت نهايته فوق مجرى الماء المنحدر من ساعد الاله. وهذا يعني ان مالك الختم الجديد اراد مسح اسم المالك القديم وقد حاول النقاش ذلك ثم نقش العناصر الجديدة التي ربما اختارها المالك الجديد. ولكن بالرغم من ذلك بقيت اجزاء من العلامات المسمارية بالاضافة الى اطار الكتابة التي كانت متكونة من سطرين. علما ان العناصر الجديدة هي الاخرى تعود الى العصر البابلي القديم.(٢٠٠٤-١٦٩٥) ق م.

Abstract

Seals' Ownership Exchange in Ancient Iraq

Dr. Raya M. Al-Hājj Yunis *

The present paper deals with the making of the seals by the ancient Iraqis. Normally, the seal is owned one person. However, sometimes it may be owned by more than one person. These people may be related to each other through, for example, brotherhood and inheritance heritance and so on. In this study we are trying to study some of the cases of exchange of seals ownership in ancient Iraq.

* Lec.-Dept. of Arch.- College of Arts/ University of Mosul.